

دلالات الرمز في خطاب بشري البستاني الشعري

د. غانم سعيد حسن*

ملخص البحث

يتسم الأدب النسوي في المجتمعات الذكورية المحافظة بالنأي عن المباشرة واللجوء الى أساليب اخرى للتعبير عن العواطف المغيبة ولذلك اتخذت الشواعر الرمز وسيلة تعبيرية لإثراء التشكيل الشعري.

وتعد الشاعرة بشري البستاني من أبرز الشواعر الموصليات اللواتي أفدن من تقانة الرمز في بنية القصيدة. اتخذ الرمز في شعرها مسارين بارزين بين مسارات الرمز المتباينة هما الرمز الوطني والقومي والرمز الطبيعي ويتلمس قارئ دواوين الشاعرة بوضوح بروز رمز الوطن طاغياً معبراً عن الحب الشمولي البعيد الأمد الذي ينفلت من قيود العبارة ويحلّق في أجواء الشعرية المناسبة التي تكتم أضعاف ما تبوح.

أما الرمز الطبيعي في شعرها فقد وظّفت مكونات الطبيعة بصورة رمزية لتبوح بمكونات الحب والفرح وتفصح دون موارد عن حبّها لهذا الجزء من بلدها بطبيعته الخلابية ولتحول الطبيعة الصامتة الى كائن حي تحاوره وتبثه مكونات ذاتها الشاعرة. وقد تعاملت مع الزمن بوصفه زمناً مقاتلاً متحدياً رافضاً لا يهادن ولا يسلم نفسه بسهولة في لعبة اليأس والضياع.

The significance of symbol in Bushra Al- Bustani's Poetic Discourse

Abstract

Feminin litterature in viril societies is characterized by its distance from directness. It resorts other means of expressing emotion therefore , poetesses use symbols as an expressive means to enrich poetic composition.

* استاذ مساعد/ قسم اللغة العربية/ كلية التربية.

In fact , Bushra Al- Bustani is considered as one of the outstanding poetesses of Mosul who makes use of the exactness of symbol in the structure of poetry.

The symbol takes two directions in her poetry namely the national and the natural symbols. The reader will immediately discover that symbol of homeland is dominating her poetry expressing comprehensive and longlive love. This style hides thing more than reveals.

As for the natural symbol , it is taken from the creative nature of her country expressed in a way which fascinates the reader. She succeeds in changing the silent nature into a living creature with whom she dialogues.

On the other hand , she treats time as a challenging element always revolting and relentless and never surrendering to despair and loss

مدخل

ان مجتمع مدينة الموصل محافظ لذا واجه الافراد فيه مشكلات كبيرة في التعبير عن افكارهم غير النمطية ومشاعرهم لانّ من طبيعة المجتمعات المحافظة ان تسعى للحفاظ على ما هو كائن وعلى درجة عالية من الديمومة والثبات وان المجتمع ذكوري الطابع والسلطة، واجهت المرأة ضغطا اضافيا فضلا عن انها عضو في المجتمع يُمارس عليها المجتمع ضغط الثبات والتوازن والمحافظة.

اذا ارادت المرأة ان تعبّر عما يجيش في نفسها في القطاع الاكثر تحريما وهو قطاع العواطف والجنس فإنّ عواطفها تكون تابعة لرغبات الرجل وانفعالاته واجبها الاستقبال لذلك واجهت المرأة الادبية دائما مشكلة التعبير عن عواطفها باي شكل ادبي وعليه اتخذت مسارات رمزية تماهت فيها الصور والشخوص فالرجل وطن والقلب طائر والحب خنجر.

الرمز وسيلة تعبيرية غايتها اثراء التشكيل الشعري لان الشعر فن الرمز والترميز على حد قول فاليري والرمز افضل طريقة للافضاء بما لا يمكن التعبير عنه وهو معين لا ينضب للغموض والايحاء بل والتناقض^(١).

وتعد قضية الرمز الشعري واحدة من الانجازات المهمة في القصيدة الحديثة عموما ولقد بلغت من المكانة الفائقة الحد الذي قال عنه الشاعر عبد الوهاب البياتي "ان الرمز والاسطورة والقناع هي اقانيم القصيدة الحديثة وبدونهم تجوع وتعري وتتحول الى مشروع او هيكل عظمي لجنّة ميتة"^(٢).

وهو منهل خصب من مناهل التجربة الشعرية واداة للتعبير عن حالات نفسية اذ هو ظاهرة فنية تستثمر المنجزات الثقافية الانسانية تتأملها بعمق لتعيد انتاجها من جديد بوساطة النشاط الروحي الخلاق، لتركب من الثقافة الانسانية اشكالا رمزية، وتحيل هذه الاشكال الى رغبة الوعي الانساني في التعبير عن الحقيقة والواقع باكثر من شكل واحد^(٣).

الرمز من الوسائل الفنية المهمة في الشعر العربي القديم الا انه في القصيدة الحديثة تجاوز ذلك عبر جملة من التحولات التي اسهمت في اغناء الرمز دلالة وايحاء بوصفه وليد رؤيا شفافة حدسية تضيء النص بلمعات خاطفة خلف الدلالات التي تتموضع في التجربة الشاعرة المنطوية على نفسها وراء تقنيات الرمز والتشفير^(٤).

ولما كان الرمز افقاً مفتوحاً للتلقي والتأويل لذا (يصعب كما يقول ريكور ان نقيم قوانين عامة متفقا عليها للتأويل ان بعض الباحثين يعاملون النص او الرمز بوصفه نافذة تطل على حقيقة مقدسة، وبعض الناس يرمون هذه النصوص بالزيف الذي يجب مواجهته وتحطيمه)^(٥).

بعد استقراء مفصل للمجاميع الشعرية الاربع التي اصدرتها الدكتورة بشرى البستاني وهي "زهر الحدائق" و "اقبل كف العراق" و "البحر يصطاد الضفاف" و "مكابدات الشجر" تبين للباحث ان الرمز في شعرها توزع على محاور متعددة وطنية وقومية ودينية وتاريخية وذاتية وقد وظف بأساليب متباينة تناوبت بين الرمز الكلي والجزئي والقناع والاستعارة الرمزية بيد ان الرموز المهيمنة على شعر الشاعرة هما الرمز الوطني والقومي والرمز الطبيعي اذ شكلت الطبيعية بمكوناتها مرجعية ثرة لهذه الرموز.

المحور الاول : الرمز الوطني والقومي

اول ما تفتح صفحات ديوان "زهر الحدائق" تحس ان الشاعرة تتلظى بنار الوطن الارض وقد تلتفت بوجهه وتوحدت فيه فهو ليس وطننا للرضى والقبول والدعة وانما الوطن القدر الخفي الذي لا ينبغي ان نقف امامه صامتين قانعين وطن الصمود في المواجهة والتحدي لكل ما يعصف به للانتقال الى حالة افضل، الوطن الام والاب والاخت، ولا بد من الاخذ بابديهم في ازماتهم ومعاناتهم الى حيث النور والنوار والحب والحياة نقول في قصيدتها (البصرة).

ملفعةً بوهج النار

طافحة بفوح الفل والنوار

صامدة وحق النخل والوعد

وحق أبي الخصيب وهيبة الجند

وَحَقُّ هَوَاكُ أَكْتَمُ مِنْهُ أضعافَ
الذي ابدي^(٦).

انه الحب الشمولي البعيد الامد الذي لا تحتضنه العبارة على ما فيها من ظلال الشاعرية والغنائية والانسيابية الجميلة انها تكتم اضعاف الذي تبدي.
الشاعرة تعتمد الرمز في التعبير عن حبها فهو يفوح كشذى الرياحين والرنند ولا يمكنها كتمانها مهما حاولت وهي لا ترتضي لهذا الوطن بديلا بجنة الخلد ونلحظ مرارة الاسى والحزن والاصرار في حبها من خلال الاقسام المكررة ووقع الدال المكسورة في التقفية في المقطع السابق وهذا المقطع من القصيدة نفسها.

وَحَقُّ هَوَاكُ يَطْلُعُ مِنْهُ فِي جَسَدِي
رياحيناً واجنحة،
واسراباً من الدوري والرنندِ
وابكي مثلما تتجرح الاشجار
اصرخُ ياغبار الصيفِ،
ياوحل الشتاءِ
وعيون الفجرِ
لا اعطي العراق بجنة الخلدِ
وَحَقُّ اللَّيْلِ،
ليلك شامخاً بعواقب المجد
وَحَقُّ رَبَاكُ اَعْبُدْ فِي ثَرَاها اللهُ،
والوجع المقدس يستبيح العظم مني^(٧).

ثم يتسع عندها الحدث لتحتضن آلام الامة برمتها فتربط ما يجري في القدس والبصرة انه الالم والامل انه البشارة والنذر انه العباء الذي يحمله عراق الحضارة والمعاناة العذبة مما يحيق بالامة العربية في تصديها للعدوان فهي تنتمي الى كل شبر من ارض الوطن الذي لا يقبل التجزئة والمساومة في المبادئ.

ثم ترسم معالم "البصرة" بالوان مؤكدة خصوصية الامة (ايا خمرية الوجنات يا بصرة) و (تلثم سغفها سكرى) (ويا عربية اللفات والغمزات) في هذا المقطع من القصيدة نفسها.

وَحَقَّ رَجَالُكَ الزَّرْعُوا الحُدُودَ مَشَاعِلًا

وَرَجَالُكَ الْآتِينَ يَنْتَشِلُونَ

وَجْهَ القُدْسِ

من غير العراق يضم وجه القدس^(٨).

وفي قصيدة "الحمامة" تعود للرمز من جديد بوصفه سمة بارزة في شعرها ويبدو الاختيار صعبا بين الجفاف والرواء بين اللظى والندى بين الحب والهجر ثم يتدفق العطاء الشعري لتفصح عن انتمائها وحبها الذي يعتلج في كيانها والذي تقصر عنه العبارة لتؤشر حالة الغربة والهجر في الوطن الحبيب والحبيب الوطن

إنني الآن ما بين نارين

بين اللظى والندى

وما بين حبِّي وهجرِك نهرٌ وصبيرة^(٩).

ثم تذكر في القصيدة نفسها ما يمر بالمنطقة العربية من معاناة وسحق للانسان العربي في المرحلة العصبية التي تمر بها الامة مؤشرة اهم الاماكن التي تجري فيها الاحداث الجسام.

من جحيم المحيط لنار الخليج،

ومن قبة القدس حتى قبور امية،

بيروت تنتشر وجهي على حافة الجرف،

تنتشر موال حبِّي على كتف دباية غازية^(١٠).

عبرت البستاني عن حبها للوطن والارض والحبيب وهنا يتداخل عندها العام بالخاص بشكل لا يخفى على القارئ المنتبه فتلمح في الخاص الحب ممزوجا بالمعاناة والالم والرهبية والامل وفي العام يتعلق بالوطن والارض وهذا الاسلوب متعلق بفنية القصيدة عندها وقد يعود الى خصوصية البيئة وكونها امراة.

ولو بحثنا عن العلاقة بين الرمز ولغة الشاعرة لوجدنا اشراق الفكرة ووضوحها يبدو ذلك في قدرة الشاعرة على توصيل المشاعر مستتدة الى حضور لغوي عميق ووعي في استحضار المفردة المعبرة المشعة المشبعة بالايحاء والتي تتم عن غوص عميق بالتراث والمعاصرة أي انها شديدة الصلة بالتراث العربي ثقافة وتخصصا فضلا عن ثقافة عصرية واعية وراء تلك اللغة ويمكن ان نلمس صوت امراة وذلك عندما تلجأ للتلميح.

وَحَقُّ هَوَاكَ أَكْتَمُ مِنْهُ اضْعَافُ
الَّذِي أُبْدِي^(١١).

ثم ترسم الشاعرة خصوصية البيئة التي احبتها على الرغم مما فيها من بساطة عذبة
وقساوة مؤلمة انه الحب عذب على ما فيه من مرارة ساحقة ومكابدة مضنية وكل هذه المقاصد
يلفها الرمز من جديد.

وتدرك أنَّ عذابك عذب
وانك تحضر في جلسات الهدوء، على الشاي عصرا
وفيروز تهمس
وسع السماء احبك، كبر البحر "
وفي الشارع الافقي اجوبه ليلا وانت معي
وحديث يتمم بيني وبينك عن خطر العنف،
عن بهجة الحب،
عن ليلة لن تجيء^(١٢).

اذن الرؤيا واضحة والخالص مستحيل لا يترك الا ندوبا في الذاكرة ومرارة في القلب
ان الشاعرة بشرى البستاني تنظر الى الام الامة وحنها نظرة شاملة فتنتقل في قصيدتها (قصائد
عن الحب والحرب) من جزء لآخر في هذا الوطن الفسيح الارحاء لتشخص الداء الذي حاق
بالامة وهو يستثير الهم والعذاب اينما حل لأنه وطن واحد يستدعي السهر على مصابه، كل ذلك
يأتي بلغة شعرية رصينة وايقاع جميل معبرا عن تجربة شعرية في حسن انتقاء المفردة المصورة
للفيض الشعوري.

يابهيَّ الوجه من دقَّ على بابي وراح
ومن استهض في قلبي جرحاً،
واستراح^(١٣).

ثم تحاول استحضار معاناه الامة في صراعها وتحديها ماضياً وحاضراً فتذكر بني
حمدان والجولان والدلتا ولبنان واسار غزلان العراق
انني ابصر رايات بني حمدان تختضُّ على جرح الرجال
وأرى سرب القطا المذبوح في ليل الجزيرة

وعصافير الهوى المجروح حول القدسِ
والجولانِ والدلتا الأسيرة
وانا المح قطعان المها المطعونة الاحداقِ
في لبنان، من يجتثُ حزني ؟
انني اصرخ من هوة هذا المنحدر
من يزيح القيد عن جذع الشجرُ
من يفك اسارَ غزلان العراق
يلمُ احزانَ العراق،^(١٤).

الرمز قد استخدم في شعرها بشكل مكثف خلافا لما نراه عند الشعراء الاخرين لاسيما شعراء جيلها ممن قطع اشواطاً في تجربة الشعر الجديدة ولو اننا تعمقنا في البحث عن الغرض الاساس الذي من اجله وظف الرمز عند الشاعرة بشرى فشعرها يطفح بالرفقة حتى في اوج عنفوانها وهي تتحدث عن الحرب والشهادة والحزن والالم

من اين جئت،
تفتقت كل الشقائق
وانتشي وردُ العرائس بالندى
وتضمخت غابات روجي بالعبير
وجئت في بهو الامان^(١٥).

وفي مجموعتها (اقبل كف العراق) تعتمد الشاعرة الرمز بصورة واضحة دون توظيف القناع وغيره وعدم الايغال فيه بالشكل الذي تلمسناه في المجموعة السابقة ربما لانها كتبت للمقاتلين وعامة الناس فتعمدت ايضاح الفكرة او انها اكتسبت خبرة في تجربة الكتابة للحرب تختلف عن السنوات الاولى التي يأتي الشعر عادة فيها طافحا بالعاطفة والمشاعر والغنائية لذا قامت القصيدة عندها على البناء الدرامي والتكنيك الفني الذي يقتضي التروي والهدوء في تعمق الفكرة تقول في المقطع الاول من قصيدة (الفرسان)

مطرٌ يبيلُ سافياتِ الريح،
تحت السرو تصهلُ لوعةً
وتلوبُ بالصيوات

لا

قال العواذل !

مهرها غال! (١٦).

ولمّا تقترب من وصف حالة الحرب تباشر ما نقول وكأنّها تحدث كل الناس وتعرض البيانات بلغة شعرية مؤثرة وقريبة من المألوف المعيش في واقع الحياة اليومية ويبدو الرمز شفافاً في هذا السياق الشعري:

قال بالأمس البيانُ

وزادَ

أنزلنا بعدتهم دماراً

ما نجا منهم دخيلٌ،

- خائف قلبي، فلا تغلغ مساء اليوم

- طياراً عراقياً سيحملني

البيانُ يقولُ :

أحرقناهمو في الجوّ

طاردنا فلو لهمو،

يضوغُ هوى التراب بنا

ويهفو الفجر، (١٧).

والاداة الفنية تؤدي دورها في بناء القصيدة واحكام النسيج وتلحظ ذلك الايقاع المتكرر لـ (الا تجيد الرقص) وهي لازمة ايقاعية تؤدي وظيفة دلالية مهمة تهدف الى فعل من افعال مقاومة الموت الناجم عن الحرب، فالانوثة تعمل بضراوة واصرار على تحويل مجرى اهتمام الرجل بالحرب والقتال، لكنه يعود بها الى الكرّ والموت، وهي لا تيّأس بل تعاود مرات دعوته الى حيوية اللحظة وفرح الحياة في هذه المقاطع من القصيدة نفسها.

الا تجيد الرقص .. ؟

- لا ..

بل أتقن الكرّ العراقيّ الاصيلَ

الا تجيدُ الرقصَ ؟

يأخذني الدوارُ
بواحةٍ في الشام اصرخ بالنخيل،
الا تجيدُ الرقصَ
- لا بل اتقن الموتَ المكابرَ
الا تجيد الرقص ... ؟
سكين بخاصرتي
وسيدةٌ تخضّبُ وجهها بالصبغ
تستلقي على الدروبِ
يروعاها في التحدي^(١٨).

القصيدة تعرض موقفاً درامياً تؤشر طبيعة الصراع الدائر في المنطقة والشاعرة هنا ليست واصفةً لذلك الصراع وإنما هي جزء مشارك في التحدي والكشف وهنا تكمن العلاقة بين الشاعرة وما يحيط بيئتها ضمن الزمان والمكان المحددين وتبيري في بيان انتمائها لفكرة التي امننت بها وكل ما تراه عائقاً او يشكل حجر عثرة امام حرية الانسان فتقدم بذلك حضوراً عصرياً لقضية امننت بها وارتبطت بها مصيرياً وهذا الموقف جاء طبيعياً من خلال البناء الشعري ولم يكن ضرباً من التخيل والوهم البعيد الدفاع كان امراً واقعياً لحالة التصدي والمواجهة والشاعرة تعي دورها وما تصنع لانها قد المت بطبيعة ما يحدث من كل جوانبه فنياً وثقافياً من خلال العمق التاريخي لما يجري في المنطقة العربية من تحدٍ وصراعات تنفجر بين اونة واخرى كلما بدأ العرب ينهضون للمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية.

وهي متفائلة فيما سيؤول اليه الصراع ومطمئنة الى قدرات الانسان المكافح في حسمها لما تمتلك من حضارة عريقة تقتضي الثبات وعدم التفریط بها وتشويه معالمها.

ها همو يتساقطون على جذوع النخلِ
يلتفتون نحو الامسِ،
- كسرى مرّةً اخرى !!!
واحرقنا بهم كل المنافذِ
لا مفر،
البحرُ صوت البحرِ،

حسُّ الحرب،
لا . . . صوتٌ عراقي سيحسمها،
انا في الليل اسمعهُ،
يخبئني بأحرفه،
ويعطيني العلامة،^(١٩).

ثم تعود للمباشرة من جديد في وضوح الدلالة فتقول تباعا في القصيدة نفسها.

طفلةٌ في الفجر تهزجُ :
يا صباح الخير يا قمرَ الجنود ابي
وتلثم بدلة الخاكي وتتشد :
ياحمام الدوح
بلغهم سلام الروح،^(٢٠).

وهكذا تقف الشاعرة بشرى البستاني على ارض صلبة من الوعي والثقافة اللذين مكنها من بناء رموز استطاعت بها الشاعرة ان تجسدها بنجاح واقتدار التوحد والانتماء وفي قصيدة (مكابدات ليلي في العراق) تتجلى القصيدة لتفصح عن المعاناة العراقية موظفة تقانة القناع التي هي احدى اشكال الرمز اذ تتقنع الذات الشاعرة بشخصية ليلي العامرية وهي شخصية عذرية تاريخية جعلت الشاعرة صورتها قناعا واذا كانت قصيدة القناع وجودا مستقلا، وجودا للنص ينقلت به الشاعر من الذاتية الى العمومية كما يقول البياتي فان الشاعرة هنا اتحدت بالقناع وباحت بلسانه.

فمثلا خذلت العشيرة ليلي ولم تؤازرها او تنتصر لحبها خذلت الامة العراق وتركته لحراب الاجنبي فسياط الاهل هي سياط الامة التي تلهب جسد العراق وقتيان العشيرة الصم هم الحكام العرب الذين باعوا الوطن للاجنبي وتركوا العراق وحده في مهب العاصفة تقول في نصها:

لكن الى اين المفرُّ
سياط اهلي،
والمفرُّ غيابُ اهلي
عورةٌ حبي فمن يكسوه . . . ؟

فتيان العشيرة !...
صمٌ وبكمٌ ...
آه ...
عمي كلُّ فتيان العشيرة
.....
والجوع يافتيانُ كافرٌ
والفقر كفرٌ فاقتلوه ...
يكاد ...؟ لا .
او فاقتلوني (٢١).

وفي قصيدة "العراق" من ديوان (مكابيات الشجر) تقول الشاعرة
والعراق عباءة امي،
وثوب العذارى،
اللواتي يمتن على السفح
من ظمأً واغتراب (٢٢).

وغير خافية هنا ايحاءات العباءة رمز الستر والغطاء الذي يكتنف مشاعرها وهي رمز
الدفء والحنان والرعاية فالعراق عباءة العرب الدافئة وراعي الحضارة وهو ثوب العذارى نقاءً
وطهرا ونبلا لكن عذاراه اليوم يمتن في الهامش معزولات يقتلهن الظمأً والاعتراب. ولكن أي
ظمأً هو ظمأً العواطف واندثارها وموت الامل واضمحلاله.
وترى احدى الباحثات ان موت الانوثة متحقق بعوامل خارجية قمعية هي الظمأً ينتج
عنها عوامل داخلية تتمثل بالاعتراب وموت الصبايا ينشظى ليشمل كل انواع التغييب
والازاحة (٢٣).

وفي قصيدتها (بابل) وظفت الشاعرة الرمز الوطني فبابل رمز للعراق بكل ما يحمله
من تاريخ وحضارة وعراقة بابل هنا اسيرة الهيمنة الاجنبية تخاطب فارسها تبحث عنه وقد
وظفت الشاعرة الرقص بوصفه احد طقوس العبادة البابلية من جهة وطقس لدفع العذاب والالم من
جهة اخرى فهي تتواصل مع هذا الفارس بحثا عن الحقيقة التي تدرا الكذب والعدوان ومحاولات
الابادة والتعذيب والتغييب اذ تقول :

هذا اوانُ الرقص ؟

هاتِ يدِيك،

خَبِّي دمعتي،

في عتمة الليل الذي يجثو

على كتفيَّ معطفُهُ،

.....

وابحث عن يدِيك

تلم عن خصري القناديل الكذوبة،

وانطفاء الاشرعة^(٢٤).

انها تبحث عن الفارس المحب الذي يخبيء ويمسح الحزن تحسُّ بأن كلَّ القناديل الموقدة هي قناديل كذوبة لا عاطفة فيها ولا احساس وان الزمن يجري باتجاه انطفاء الاشرعة وجنو العواطف وعلى هذا لجأت الى الرمز ملاذا تصور فيه صرامة الواقع وقساوته وتهرب الذات الشاعرة من مرارة الزمن الذي اصبحت فيه الحياة اشد وقعا من التخيل.

المحور الثاني الرمز الطبيعي

لعل جوته قد فهم الرمز على انه امتزاج للذات بالموضوع والفنان بالطبيعة فانه يكون منطقياً مع نزعه المثالية التي ترد العالم الخارجي الى رموز للمشاعر^(٢٥).

يقول (دود) ان "جانب الطريق والطيور والاشواك والارض الصخرية ليست كما يظن مرقس، عبارات تلخص العذاب، وغواية الغنى، وما الى ذلك، فهي مذكورة لتستحضر صورة القدر الهائل من الجهد الضائع الذي يجب ان يتحملة الفلاح، فتبرز بذلك ما يمنحه الحصاد من رضا برغم كل شيء"^(٢٦).

شكلت الطبيعة بجبالها وبحارها وانهارها وشجرها وقمرها وما الى ذلك من مكونات طبيعية مرجعيات ثرة لهذه الرموز عند الشاعرة بشرى تقول في مجموعتها (البحر يصطاد الضفاف).

ارقصُ طول الليلة

وحدي

انزفُ

تطلُعُ في دميَ الاشجارُ

وتدور معي
تتدلى ثمراً مرأاً..
تنزفُ ...
في اخرة الليل،
ندوخ معاً
ونولّي الادبار^(٢٧).

في هذا النص تبدو معالم الوحدة المعتمدة واضحة جدا اذ تعبر الشاعرة بصورة رمزية يجسدها تكرار الفعل المضارع الذي يوحي بالاستمرارية والتجدد عن مأساة الوحدة والضياع ويأتي (الثمر المر والنزف) في القصيدة معبرين بوضوح لا يقبل اللبس عن الهدر في المكونات الانسانية العاطفية وضياع العمر بمكابدات شتى في ظل حروب متلاحقة او شكت ان تفني الناس جوعا ومرضاً وقهراً وينبني المقطع الشعري على دراما حادة تتحرك في فضاء حصار وحرب فتقاوم الذات الشاعرة حزنها وعذاب وطنها بالرقص الذي لا يشيع فرحا كما هو المعتاد لكنه يصاحب بالنزف والوجع لأنه رقص العزلة والاغتراب ومن النزف تطلع الاشجار رمزا طبيعيا لكن المفارقة تكمن في ان هذه الاشجار لا تثمر اللحم والامل لكنها تثمر ثمرا مرأاً فشعرية المقطع اذن تنهض على مفارقتين رمزيتين الاولى ان الرقص يؤول الى نزف وليس الى فرح والثانية ان الاشجار التي سقيت بالدم تنتج ثمرا مرا وهنا تتجلى قمة المعاناة الانسانية.

لعل لصوت الراء بما يحمله من ترجيع صوتي ترتبط دلالاته بالتكرار اثره في اغناء النص ايقاعا وايحاء باستمراره فقد جاء حرف الراء سبع مرات مؤكدة فاعلية هذه الدراما وتجدها في كل وقت تقول الشاعرة في نص اخر
وعندما اشرع شباكي له

يغيب ...
الطارقُ المريبُ
يطلبني في الليل
اردُّ ...
لا يجيب (٢٨).

فمن هو الطارق وما علاقة الذات الشاعرة به، هذا ما لا يشير اليه النص ليبقى التساؤل يحوم حول الطارق في حالة من الحيرة والغياب.

فهي تنتظر هذا الطارق وبمرارة لكنه طارق منذ البدء مشكوك في كل ما حوله وعندما تحدث الاستجابة يغيب الطارق فيختلط الواقع بالخيال والحقيقة بالحلم ولا ندري حدا فاصلا بين المتخيل والواقعي.

الانتظار لم يقد الى النتيجة المبتغاة بل قاد الى الغياب النهائي اذ تقول :

وتكبرُ الثقوبُ في الجسدُ

فلا تجيء به اليّ،

لا تجيء

دع الزمان غافيا،

والجرح في رغد^(٢٩).

اذن الرؤيا واضحة والخلص مستحيل لا يترك إلا ندوبا في الذاكرة ومرارة في القلب

ويتكرر الامر نفسه في قصيدة (تباريح) اذ تقول :

لوعني الحب

اسلمني لنجوم الظهيرة

فاشتعلت غابة الافق

غاصت تباريح روعي في الرمل

غار الجسدُ^(٣٠).

الشاعرة تفصح هنا دون موارد عن حبها ولكن أي حب انه الحب اللا مجدي الذي يسلم لنجوم الظهيرة وهنا احالة تناصية الى المثل الشعبي (اراني نجوم الظهر) كما ان هذا الحب بدل ان يقود الى التفتح والازدهار شأنه شأن أي حب اخر كانت نتيجته غوران الجسد وتصف الشاعرة هذا الحب بأنه جعل روحها تغوص بالرمل إنها مكابدة الانسان المعاصر المذبوح باستلابات القهر والقسر والطغيان اذ تتساقط اشواقه ومواجيده وكل اشياءه الجميلة ليصير مالها الى اعماق الرمل ومعها الجسد دفنا وموتا وتغييبا وتتجلى رمزية النص الشعري بوضوح في قول الشاعرة

بهدهوء تتسلل نحوي

يقفز ظبي الموج

إلى حضن الشيطان

.....

فرس الحب تلف حروق الأشجار

لا أحد يدرك سرّ اللعبة

الامن خبير اللعبة

وانحلت بين يديه الاسرار^(٣١).

هنا ترتبط الدلالات الرمزية الطبيعية بالدلالات النفسية في تشاكل لعبة الغياب والحضور ان يتسلل الحب بهدوء فضلا عن ان دلالات ظبي.. حضن الشيطان، فرس الحب بما تحمله من دلالات رمزية طبيعية وما تؤول اليه من المقاصد النفسية التي تكمل الشاعرة ايضاحها بالقول الوارد في نهاية النص فهي عاطفة غير مكتملة عاطفة تعيش الحلم وتتأى عن الواقع وتتجسد بصورة تتلاءم وتتواءم مع صدق العاطفة من جهة وقيود التقاليد من الجهة الاخرى.

ولعل اشد الايضاح يتجلى في قصيدة (مكابدات ليلي في العراق) التي تقول الشاعرة في

افتتاحيتها :

قيس يطارد غزلان نجد

وقلبي يطارده في الزحام^(٣٢).

فلعنة الحب المستحيل واضحة في جميع مقاطع القصيدة ويظل الانتظار غير المجدي

سيد الموقف اذ تقول :

وانا المخدوعة وسط نساء الحي

وانّ الارض

كانت من حولي ارضا بور^(٣٣).

لعبة الانتظار لم تكن مجدية وظلت الارض بورا لم ترتو لان الخيانة هي سمة من بايديهم السلطة في المنطقة كلها.

ولعلها تختلف في تجربتها كليا مع نازك الملائكة في ديوانها الذي اصدرته سنة ١٩٤٩ فزمن

نازك زمن شاحب بائس بينما يتجلى زمن بشرى البستاني زما مقاتلا مقاوما.

ففي شظايا ورماد حيث يخفت الانين الذاتي المسرف لكنه لا ينقطع بل يتجول الى فلسفة عاطفية
كامنة تمتزج فيه المرارة العميقة بيقين الشاعرة ان الحياة سراب وانها لم تكن في سني عمرها
المنصرمة الا (كجامعة الظلال) تجري وراء الوهم وتقبض على الريح^(٣٤).

تصور نازك الملائكة في قصيدتها (لعنة الزمن) من ديوان "قرارة الموجة" لحظة من
لحظات الوهج العاطفي بين حبيبين يجتليان المساء على شاطئ نهر تطفو عليه جثة سمكة ما
تليث ان تغدو عملاقا ينذر العاشقين بالفراق وكأن الشاعرة ترمز الى وطأة الاحساس بالزمن
يهتصر السعادة ويحيل الحلم الى حقيقة كئيبة ويضفي ظلاله السود على عواطفنا حتى وهي في
ذروة ازدهارها فلننظر في نصها كيف تمّ تكوين الرمز

ووقفنا في الظلمة نحلم

بالموج وبالليل المبهم

ونحوك من الأنجم والرؤيا والامواج لنا اطواق

ونجوب العالم في عربات

صنعتها اذرع جنيات

من عطر الازهار الخجالات

من اسلاك الضوء الالاق

في قهر النهر على ارض لم يلمسها القمر الالاق

وتناست مولدها الافاق^(٣٥).

تقول الشاعرة بشرى البستاني مصورة الزمن في قولها

دقت الصافرة

هو الوقت لا ينقضي

يقطع الوقت اوردتي

والدقائق ليست تمرّ

تعلّفتني فوق حبل مدلىّ

تسائلُ :

من سيموت بأخرة الليل^(٣٦).

الزمن زمن شديد البطء متناقل الخطوات وكأنه يدوس بقدميه الثقيلتين على الذات الشاعرة فالدقائق لا تمر حتى تصفها بأنها حبال مشنقة ولعل هذه الصورة من اجمل الصور التي اختارتها الشاعرة فبطء الزمن سبب عامل الخوف بعد ان دقت صافرة الانذار يجعل بندول الساعة يبدو كمشنقة تنتظر من ينفذ فيه حكم الاعدام فبعد ان دقت الصافرة وابتدأ القصف الكثيف اصبح الموت حقيقة واقعة وكأنه ينتظر الحدوث في اية لحظة ولاي شخص وهذا الزمن بالتأكيد مختلف عن زمن نازك الملائكة فنازك تتحدث عن لحظة عاطفية متوهجة والشاعرة بشرى تتحدث عن لحظة حربية عن زمن الموت والدمار والخراب في قصف عشوائي لا يميز بين الاشياء. تقول الشاعرة بشرى البستاني في قصيدتها (موسيقى عراقية) من ديوانها (مكابدات الشجر) :

قالت الأرض :

لا تستنقُ يا هواي الاخير

قلت :

كل الزمانُ

صالحٌ للتشرد

كل المكان

صالحٌ للتوحدُ

كل المدى

صالحٌ للحلم ...

وكلُّ المواعيد شاحبة

غير موعد قلبي

ومقفرة غير موعد حبي

فلا تبتعدُ ...

انها اللحظة المستحيلة

لكنني

لن اجيء

لتبقى وحيدا ويغمر وجهك حزن جديد^(٣٧).

لم يعد للزمان والمكان قيمة بل اضحى الزمن هو هو والمكان أي مكان ممكن فقد فقدت الاشياء خصوصيتها واصبح الزمان والمكان دمارا ولم يعد هناك من مهرب سوى الحلم الذي غدا هو الملاذ الاخير للشاعرة التي ترى بلدها واحبتها تحت القصف والدمار فتحلم باليوم الذي تنجلي فيه الكارثة.

من هنا فالزمن عند نازك زمان واقعي معيش والزمن عند بشرى زمن نفسي شعوري تحكمه الظروف وتطيله او تقصره اللحظات النفسية التي تعيشها الشاعرة. تبين مما تقدم ان الشاعرة بشرى قد وظفت مكونات الطبيعة بصورة رمزية لتبوح بمكونات الحب والفرح وتفصح دون مواربة عن حبها لهذا الجزء من بلدها بطبيعته الخلابه ولتحول الطبيعة الصامتة الى كائن حي تحاوره وتبثه مكونات ذاتها الشاعرة. وقد تعاملت مع الزمن بوصفه زمنا مقاتلا متحديا رافضا لا يهادن ولا يسلم نفسه في لعبة اليأس والضياع.

المصادر والمراجع والبحوث المعتمدة في البحث

- ١- الرمز والرمزية في الشعر د. محمد فتوح احمد، ٣٦، دار المعارف ط٢. القاهرة، ١٩٧٨.
- ٢- الرمز الشعري في قصيدة بابل لبشرى البستاني قراءة في التشكل والدلالات، ريم محمد طيب الحفوطي، ٨٩، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، المجلد (١٤)، العدد (٢)، آذار ٢٠٠٧، ومقابلة مع الشاعر عبد الوهاب البياتي، يمنى يخلف، ٢١، مجلة الجامعة العدد (٤) لسنة ١٩٧٧.
- ٣- ينظر : الرمز الشعري في قصيدة بابل لبشرى البستاني قراءة في التشكل والدلالات، ٩٠، والرمز الشعري عند الصوفية، د. عاطف جودة نصر، ١٨، دار الاندلس، بيروت، ط١/ ١٩٧٨.
- ٤- ينظر، الرمز الشعري في قصيدة (بابل) لبشرى البستاني قراءة في التشكل والدلالات، ٩٠، ودراسة في لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث، د. رجاء عيد ١١-١٢ منشأة المعارف الاسكندرية، ط١ / ١٩٨٥.
- ٥- قراءة تأويلية في قصيدة (شجر الرمان) لبشرى البستاني د. احمد جار الله ياسين ١٣٩ - ١٤٠ مجلة أبحاث، كلية التربية الاساسية، المجلد (٢)، العدد(١)، ٢٠٠٥. ونظرية التأويل، د. مصطفى ناصف، ٣٤، النادي الادبي الثقافي، جدة، ط١ / ٢٠٠٠.
- ٦- زهر الحدائق بشرى البستاني، ٧ دائرة الشؤون الثقافية والنشر دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٤.
- ٧- المصدر نفسه، ٨.
- ٨- المصدر نفسه، ٩.
- ٩- المصدر نفسه، ١٦.
- ١٠- المصدر نفسه، ١٦.

- ١١- المصدر نفسه، ٧.
- ١٢- المصدر نفسه، ١٨.
- ١٣- المصدر نفسه، ٢٨.
- ١٤- المصدر نفسه، ٢٩-٣٠.
- ١٥- المصدر نفسه، ٢٨.
- ١٦- قبل كف العراق بشرى البستاني ٧ دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨.
- ١٧- المصدر نفسه، ٩-١٠.
- ١٨- المصدر نفسه، ١٤-١٦.
- ١٩- المصدر نفسه، ٢١-٢٢.
- ٢٠- المصدر نفسه، ٢٢-٢٣.
- ٢١- البحر يسطاد الضفاف، بشرى البستاني، ١٠٦-١٠٧، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ٢٠٠٠.
- ٢٢- مكابدات الشجر، بشرى البستاني ٩، وزارة الاعلام دار الشؤون الثقافية العامة ط١، بغداد، ٢٠٠٣.
- ٢٣- بحث شعرية الجنوسة مقارنة لنص قصيدة (العراق) للشاعرة العراقية بشرى البستاني د. وفاء عبد اللطيف زين العابدين، ١٠.
- ٢٤- مكابدات الشجر ٧٤-٧٥.
- ٢٥- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ٣٧.
- ٢٦- موسوعة المصطلح النقدي، جون ماكوين الترميز ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، ٣٨ دار المأمون، بغداد، ١٩٩٠.
- ٢٧- البحر يسطاد الضفاف، ٣٥.
- ٢٨- المصدر نفسه، ٥٨.
- ٢٩- المصدر نفسه، ٥٩.
- ٣٠- المصدر نفسه، ٤١.
- ٣١- المصدر نفسه، ٨٨-٨٩.
- ٣٢- المصدر نفسه، ٩٩.
- ٣٣- المصدر نفسه، ١٠١.
- ٣٤- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ٢٠٧.
- ٣٥- نقلا عن المرجع السابق ٢٠٧.
- ٣٦- مكابدات الشجر، ٣٤.
- ٣٧- المصدر نفسه، ٥٣-٥٤.

دراسات موصلية - العدد السابع عشر - رجب - ١٤٢٨هـ / آب - ٢٠٠٧م

(٦٦)